

غادة شبير تحيي أمسية رمضان في مسرح بابل صوت أكاديمي طالع من كنوز الموشحات

ليس من السهل أبداً الجمع بين الاختصاص الموسيقي الأكاديمي والمقدرة على الغناء، بين الخبرة العلمية والموهبة في الصوت والأداء، بين الذاكرة التراثية والمقدرة على التجديد ضمن توازن يحافظ على هيكليّة العمل الغنائي الموسيقي وروح. هذا ما قدمته غادة شبير في أمسيّتها «قوالب» مساء السبت الماضي في مسرح بابل، الحمراء.

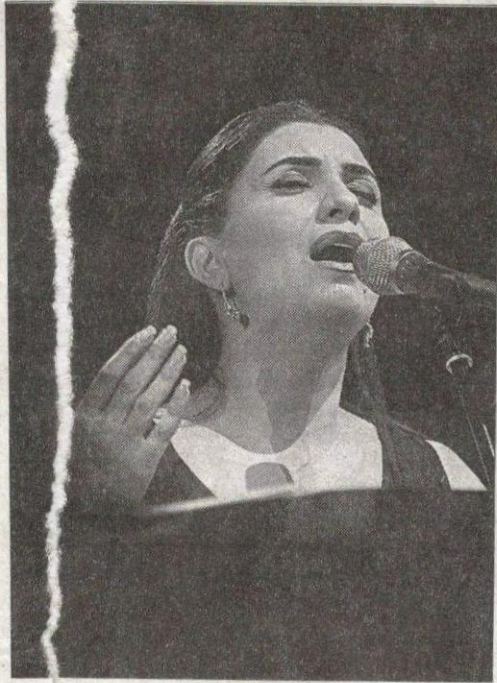
الواضح أن الموشحات الأندلسية هي ميدان اختصاص غادة الأساسي ومجال دراستها الأكاديمية. وقد أصدرت غادة كتابين هما: «الموشح بين القديم والمعاصر» و«موشحات وأدوار سيد درويش». وقد استطاعت انطلاقاً من خبرتها ودراستها للموشحات الأندلسية أن تعيد الحياة إلى هذا الفن الغنائي الموسيقي العريق، دراسة وغناء، وأن تحافظ على أصالته وأن تدوره وتجعله لونا معاصرا من الغناء العربي، قادرا على مخاطبة الأذواق الراهنة والعصرية.

صوت رنان

كان الجديد الذي قدمته غادة في أمسية السبت الماضي، مجموعة منخبة ومتنوعة من أسطوانتها «قوالب»، بحضور جمهور بيروتي لافت وكثيف قدمت غادة أمامه نفسها بطريقة أكاديمية متمرسه على أداء أغان صعبة من الموشحات مثل «منيتي عز اصطباري» غير المعروف مؤلفها والتي كان الموسيقار الراحل سيد درويش رائداً في الاشتغال عليها. لم تلجأ غادة إلى سيد درويش لتغني ألقابه فقط، فهي تعلم جيداً ماذا تريد من هذا الموسيقار الكبير وكيف تغني له، وما معنى أن تعيد غناء ألقابه لتضفي على تلك الألقاب لمساتها الخاصة: صوت دافئ وعذب، أمات شفيفة، تعرجات متناغمة بالأداء الغنائي المشبع بالإتقان والارتجال في أن، وبالانسياب والإحساس المرهف الرنان واللماع، لتقدم لنا إيقاعات مركبة وصعبة تبدو للوهلة الأولى أنها سهلة. وإذا كان صوت غادة رقيقاً خافتاً حيناً وقويها هادراً حيناً آخر، فإن تلك الميزة بالذات هي التي تجعل الصعب في أدائها يبدو سهلاً. هذا ما تجلى واضحاً في أغنية «يا جارة الوادي» للشاعر أحمد شوقي وتلحين محمد عبد الوهاب، أو في «الدور» الغنائي «أنا هويت وانتهيت» أو في الموشح «مضناك جفاك مرقد». هكذا قدمت لنا غادة باقة من الأدوار والموشحات والقصاصد والقطايق، بمقدرة على إعطاء كل واحدة منها روحيتها الخاصة، وقوالبها المميزة.

في أغنية «أعطني الناي وغن» لجبران خليل جبران وتلحين نجيب حنكش، برزت موهبة غادة في القدرة على اختراق السهل الممتنع وتقديمه بأسلوب ساحر وأخاذ. واللفت المميز عند غادة أن مخارج الحروف في صوتها تبقى دائماً صحيحة مهما ارتفعت الطبقات الصوتية لحنجرتها الذهبية، ولكن أحيانا كانت حروف العلة والممد (الواو والألف والياء) لا ترتفع إلى المستوى المطلوب المتناغم مع علو السلالم «النوطية» لأدائها.

راقف غادة في تلك الأمسية المميزة تحت شرقي متعرس في الزرف الموسيقي، بسام صالح على الكونتر باص. عفيف مرهج على العود، سمير سبليني على الناي وقد قدم لنا وصلتين منفردتين ناجحتين، وماريا مخول على القانون، وقد أبدعت في عزف وصلتين أيضاً، وناجي عازار على الكمان، ووليد ناصر على الرق. أما تفاعل جمهور الصالة مع



أداء غادة فقد تجلّى بتمايل الرؤوس والتهاب الأكتف بالتصفيق. وقد جاء أداء غادة متنوعاً وحرّاً، يعطي التناصير والتعميقات عناية خاصة، ويحترم بصرامه القوالب الإصلية، ناقلاً المتتاليات بكاملها من دون إضافة أي جديد صافٍ للمقدمات أو للفواصل أو للخاتمات، مما يعني أن غادة شبير مغنية أكاديمية بامتياز، لكنها ترفض التوقع في «المحفية التراثية» الميته، التي تجرد الغناء من حيويته وغناه الداخلي، أو تتركه في مهوي «الفلكلورية المسطحة». لقد نبشت لنا غادة كنوزاً من الموشحات القديمة التي أعادت إحياءها على طريقتها بأمانة وحيوية وجدارة غنائية أكاديمية، عبر صوت يذيع بات يحتل مرتبته الخاصة في عالم الغناء التراثي الإصيل. إنها مغامرة حقيقية تقوم بها هذه المغنية الأتية من الاختصاص الأكاديمي، في مرحلة الانحطاط الغنائي والفلتان الموسيقي الذي أعطب الأغنية العربية ودمر الذاكرة الشرقية لموسيقانا. لذا، يأتي غناء غادة بديعاً وطلعاً من عمق الإحساس بالموسيقى والشعر في لغتنا العربية. وهو غناء مشغول بوعي ومعرفة وبصوت بهي وساحر، شرقي بامتياز.

صوت صافٍ ونقي قد لا يحتاج في أحيان كثيرة إلى الموسيقى، نظراً إلى قوته ولطافته وعمقه وسلاسته. صوت طالع من أعماق التدرجات النغمية في لغتنا، وفي أشعارنا وفي ألقاننا الشرقية، متناغم مع المزايا الخاصة لموسيقى التخت الشرقي.